مُقدِّمة

في العاشر من ديسمبر من كل عام تتجه أنظار العالم إلى مدينة استكهولم السويدية لمتابعة أهم حدث عالمي في شتى المجالات.. الطبية، الكيميائية، الفيزيائية، الأدبية، السلمية.. وأخيرًا الاقتصادية.. إنه توزيع جوائز نوبل ، للنابغين في هذه المجالات، ولمن أسدوا للإنسانية خدمات جليلة في مجالهم.

وعبر أكثر من قرن من الزمان، وبالتحديد منذ عام ١٩٠١ ، حفلت سجلات جوائز نوبل بالعديد من الأسماء التي اكتسبت من الشهرة والمال، ما لم يكتسبه أحد في مجاله.. ورغم أن وصية (ألفريد نوبل) التي بموجبها تم تخصيص الجوائز، لم تفرق بين الجنسين: الذكر والأنثى.. إلا أن الصفة الذكورية ظلت السائدة، وتنحى الجين الأنثوي بعيدًا، فلم يفز بهذه الجائزة المدهشة من النساء عبر هذا التاريخ سوى اثنتين وثلاثين امرأة في المجالات الست التي خصصت لها اللجنة المنظمة جوائزها.

لذا فتحنا خزانة سجلات نوبل لنتعرف عن قرب على هؤلاء النساء النابغات الفذات اللاتي اقتحمن بأسمائهن وأعمالهن هذه الجائزة.. فكانت الجواهر النسائية في عقد نوبل المثير.

ميدالية نوبل

المؤلف

obeikandl.com

جائزة نوبل .. تخاصم النساء

عندما أُعلن في الاحتفال الضخم بالمئوية الأولى لجوائز نوبل ، في الطب والفيزياء والكيمياء والأدب والسلام، أنه من بين سبعمائة وتسع عشرة جائزة، حصدت النساء منها ٣٠ جائزة فقط.. ارتفعت أصوات محلية وعالمية كثيرة مطالبة باتخاذ توازن معقول في منح الجوائز النوبلية، على اعتبار أن المرأة نصف المجتمع، إلا أن هذه الحقيقة الثابتة غابت كثيرًا عن أرض جائزة نوبل .

فهل يعقل ، رغم مرور أكثر من قرن من الزمان، أن تظل الجائزة حكرًا على الرجال الذين يمثلون ٥٠٪ من سكان الأرض، ولا ينالها سوى اثنتين وثلاثين امرأة من مجموع حوالي سبعمائة وثلاثين فائزًا بنوبل ؟!

لم يخطر ببال (ألفريد نوبل) صاحب الفضل في هذه الجوائز والتي تحمل اسمه أن تحرم المرأة (الأنثى) من حقها في نيل الجائزة.. فلم يفرق ألفريد نوبل في وصيته بين نوع أو جنس كشرط للحصول على الجائزة.. فقد جاء في الوصية ما نصت عليه الفقرة الأولى منها:

يصير التصرف فيما تبقى من أملاكي المعترف بها على النحو التالي: يستثمر رأس المال بمعرفة القائمين على تنفيذ وصيتي فى أسهم مأمونة، وينشأ صندوق توزع فائدته سنويًا في شكل جوائز تمنح للأشخاص الذين قدموا أعظم نفع للجنس البشرى في العام السابق، وتقسم الفائدة المشار إليها إلى خمسة أقسام متساوية:

١- جزء للشخص الذي يصل إلى أهم اكتشاف أو اختراع في حقل الطبيعة (الفيزياء) .

٢- جزء للشخص الذي يتوصل إلى تطوير كيميائي .

٣- جزء للشخص الذي يحقق أهم اكتشاف في مجال الفسيولوجيا أو الطب.

٤- جزء للشخص الذي ينتج إبداعًا مميزًا في مجال الأدب في اتجاه الأهداف النبيلة وقيم الأخلاق.

٥- وأخيرًا جزء للشخص الذي يؤدي أحسن عمل لتحقيق الإخاء بين الشعوب وتنشيط مؤتمرات (السلام).

ويضيف ألفريد نوبل في وصيته :

أرغب ألا يقترن منح الجوائز بأي اعتبار (مطلقًا) فيما يتعلق بجنسية المرشحين، وأن يحصل أكثرهم جدارة على الجائزة.

إذن .. ألفريد نوبل لم يخص جوائزه للرجال فحسب .. فلماذا إذن الجفاء الواضح بين (المراة) والجائزة ؟! .

فعندما رشح البرلمان النرويجي، وهو المنوط به ترشيح من يقع عليه الاختيار لنيل جائزة نوبل للسلام ألف امرأة في عام ٢٠٠٥ ليحصلن على الجائزة في مجال السلام .. تغافلت اللجنة هذا الترشيح، وذهبت الجائزة إلى هيئة الطاقة النووية ورئيسها الدكتور محمد البرادعي – مناصفة.

لذا بدا هناك خصام وجفاء بين (المرأة) وجائزة نوبل.

هذه الظاهرة كانت قد لفتت انتباه الكاتب والمفكر الكبير الراحل عباس محمود العقاد، وأفرد لها فصلاً كاملاً في كتابه (جوائز الأدب العالمية.. مثل من جائزة نوبل) في عام ١٩٦٤ ، ولم يكن وقتها قد نال الجائزة سوى أربع أديبات فقط، رغم مرور نحو ستين عامًا على الجائزة .. ويقول العقاد:

فلم يكن طريق المرأة إلى الجائزة طريقًا مفروشًا بالورود، ولم يكن إنصاف اللجنة لها عملاً من أعمال التحقيق، وإنما كان عملاً من أعمال التوفيق ..

فرع نسائى لجوائز نوبل

لا نذيع سرًا إذا قلنا إنه مع كل عام عند إعلان جوائز نوبل تنطلق صيحات نسائية مطالبة بأخذ مكانة لائقة في سجلات جائزة نوبل.. فعندما أعلن (هوراس انغدال) السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية لجائزة نوبل للآداب أن الجائزة في عام ٢٠٠٣ من نصيب الطالب الجنوب الإفريقي (جون ماكسويل) الذي اهتم بقضايا المرأة.. علقت أستاذة الأدب (إيبا وبل) في كلية (سودرتون) السويدية، وهي زوجة السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية لجائزة نوبل .. رافضة لهذا الاختيار البعيد عن المرأة، وساندها في احتجاجها الذي أصبح دوريًا بعض أعضاء البرلمان السويدي من كتلة اليسار ، مطالبين بإيجاد فرع نسائي لجوائز نوبل، نظرًا لضعف التمثيل النسائي فيها.. لكن هذه النداءات والمطالب ذهبت أدراج الرياح .

فلجان نوبل غالبية أعضائها من الرجال، وذلك يبرر خياراتها.. فمن الواضح أن أمام المرأة الباحثة والعالمة والمبدعة طريقاً طويلاً لوجود حالة من التوازن مع الرجل.

لقد كان الأمل يراود النساء والحركات النسائية بأن المرأة سوف تعرف طريقها إلى منصة تتويج نوبل، وذلك بعد أن نالت الجائزة العالمة الفرنسية الفذة (ماري كوري) كأول امرأة تتنسم عبير جائزة نوبل في عام ١٩٠٣ .. واعتقد الكثير من المراقبين والمحللين لجوائز نوبل أن ماري كوري فتحت الطريق أمام العنصر النسائي ليدخل مجالات علمية عالمية (نوبلية) واسعة تضع المرأة على قدم المساواة العلمية مع الرجل.. ولكن كانت الصدمة في عدم إيجاد من هن على شاكلة (كورى) العلمية لترشيحهن لجوائز نوبل.

إرث اجتماعي

الدكتورة أستريد غريسلوندِ وهي المرأة الوحيدة في لجنة نوبل للكيمياء، ترجع السبب في ضعف تمثيل المرأة في جوائز نوبل إلى الإرث الاجتماعي .. وتقول إنها تبحث في بقاع العالم عن أسماء العالمات لترشيح عدد أكبر من النساء اللاتي يرتقين إلى مستوى جائزة نوبل التي تعد أهم جائزة في العالم .. فعدد النساء اللاتي يرشحن للجائزة صغير للغاية ، بينما الأكثرية الساحقة من المرشحين هم رجال.. فحصيلة الاقتراحات والترشيحات التي تصل إلى اللجنة من الجامعات نحو أربعمائة اسم في العام، لكن تبقى أسماء النساء قليلة جدًا.

السبب الأساسي للهوة الشاسعة بين نسبة الرجال والنساء الذين حصلوا على جوائز نوبل .. اجتماعي .. فالشائع لدى العديد من المجتمعات أن المرأة ليست بحاجة لتحصيل مراتب علمية عالية، لأنها ستتزوج وتربى الأطفال فالإرث الاجتماعي لا يزال مؤثرًا حتى يومنا هذا .. لذا لا يوجد إقبال نسائي كبير على الدراسات والأبحاث العلمية العالية.. إلا أن هناك تحسنًا على المستويات العلمية الأساسية .

أخيرًا .. لابد وأن نعترف بأن الوجود النسائي في سجلات جوائز نوبل ضعيف، بل وهزيل جدًا.. فاثنتان وثلاثون امرأة حصلن على الجائزة، رقم يبدو فيه أن المرأة غائبة بالفعل عن الظهور في المحفل السنوي لتوزيع جوائز نوبل.. وربما تحمل السنوات القادمة ، مع ازدياد النفوذ النسائي عبر صيحات حقوق المرأة وما إلى ذلك ربما تحمل السنوات القادمة مزيدًا من الأسماء التي تسجل في خانة نساء نوبل !!

ويبدو أيضًا أن الحل الأمثل لسطوع شمس المرأة على أرض نوبل قد يتمثل في فرض (كوتة) نسبة نسائية تحصل على الجائزة كل عام، أو تخصيص جوائز نوبل للمرأة.

مآخذ وانتقادات

هناك حقيقة ماثلة لكل ذي عقل.. وهي أن هناك تغلغلاً واضحًا للنفوذ اليهودي الصهيوني في شتى الدوائر العلمية والأدبية والإعلامية العالمية.. وذلك نتيجة سيطرة رأس المال اليهودي والقدرة على اختراق أي جدر.

هذا الاختراق بدا واضحًا في جوائز نوبل، خصوصًا في الثلاثة عقود الأخيرة من عمر الجائزة، لدرجة جعلت الكثيرين يصفون جوائز نوبل، ولاسيما في المجال الأدبي والسلمي، بأنها أصبحت جائزة مشبوهة ، تخرج من جرابها السحري بعض الأسماء (اليهودية) لتدغدغ بها المشاعر الصهيونية، المتحكمة في العالم بأسره.

لكن .. يجب – بالطبع – ألا نغفل أن جوائز نوبل في عقودها الأولى، وقبل النفوذ اليهودي، كانت تتسم إلى حد كبير بالشفافية والنزاهة.

ففي نهاية العقد الخامس من القرن العشرين جاء في الموسوعة اليهودية أن اليهود الذين نالوا جوائز نوبل قد بلغت نسبتهم نحو اثنى عشر في المائة من مجموع الفائزين في بلاد العالم.

وفي العصر الحديث ازدادت هذه النسبة بشكل كبير .. لقد صدم الكثيرون بفوز كل من الكاتب اليهودي (أميرى كريتشي) بجائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٢، وكذلك فوز الكاتبة النمساوية اليهودية الفريدة يلينيك عام ٢٠٠٤ والتى عرفت بمناصرتها لقضية معاداة السامية.

وقبل هذين الاسمين هناك الأديبة اليهودية المتعصبة الألمانية (نيللي ساكس) التي فازت بالجائزة عام ١٩٦٦ ، وقبلها أيضًا الشاعر السوفيتي اليهودي (بوريس باسترناك).

فعندما أعلن عن أن الفائز بجائزة نوبل للآداب هو (بوريس باسترناك) أصيب الجميع بالدهشة ، لأنه أول أديب روسي مقيم في بلاده، خصته اللجنة

السويدية بجائزتها.. وتساءلوا: ما هي المزية الخارقة التي خرجت باللجنة من قاعدتها المطردة إلى هذا الاستثناء الغريب ؟! [1] .

و(باسترناك) هو صاحب رواية (دكتور زيفاجو) وهي عمل جيد، لكنها لا ترقى إلى القمة كي يفوز صاحبه بجائزة نوبل للأداب.

فالعلة الوحيدة لفوز (باسترناك) هي أنه يهودي المولد، وأن مسألة اضطهاد اليهود من المسائل التي تتخلل روايته في غير موضع.. مما جعلها تنال جائزة نوبل.

ويشير عباس محمود العقاد إلى حقيقة تاريخية تفسر هذا النفوذ اليهودي في دوائر معهودة من أمم الشمال: هي دوائر التجارة العالمية ودوائر العملة الأجنبية التي لا يخفى شأنها في كل موطن تتصل مبادلاته بما وراء البحار.. فمنذ العصور الوسطى كانت بلاد الشمال ملاذًا مفتوحًا لليهود، ونزل اليهود منزلهم.

الطريف أن باسترناك رغم كل ما أثير حوله.. رفض الجائزة، لدواعي سياسية خاصة بالاتحاد السوفيتي .

أما الأديب اليهودي (صموئيل هنجتون) الذى نال جائزة نوبل عام ١٩٦٦.. فقد كانت كل كتاباته تنضح بالعنصرية، ولا تخرج عن كونها دعوة تاريخية إسرائيلية عنصرية .

الحال نفسه بالنسبة للكاتب اليهودي (إميري كيرتشي) الحاصل علي الجائزة عام ٢٠٠٢ ، والتي عكف خلال كتاباته على إبراز مذابح اليهود، والاضطهاد اليهودي.

فجائزة (كيرتشي) تعد مثالاً واضحًا للتحيز السياسي لنوبل لليهود، وتأكيدًا لعنصرية الجائزة – في بعض الأحيان – وهو ما بدا واضحًا بفوز النمساوية ألفريدة يلينيك بالجائزة عام ٢٠٠٤ .. وتعنى الجائزة بذلك أنها تصر على منح جوائزها وخاصة الأدبية لليهود، أو لمن يخدم قضاياهم.

---

(١) من كتاب عباس محمود العقاد: جوائز الأدب العالمية : مثل من جائزة نوبل.

منذ أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١ نجد أن جوائز نوبل في الآداب منحت أو قد تكون تخصصت لليهود .. فبعد أقل من شهر من تلك الأحداث نال الجائزة الكاتب البريطاني (في . إس. نابيول) والمعروف بكراهيته وعدائه للعرب والمسلمين.. وفي عام ٢٠٠٢ نالها الكاتب المجري اليهودي (إيمري كيرتش) الذي كرس جهوده – كما قلنا – للحديث عن الهولوكوست .

حتي الكاتب المعتدل الجنوب الإفريقي جون ماكسويل كويتزي .. الذي نال الجائزة في عام ٢٠٠٣ أشار في كثير من كتاباته إلى مسألة اليهود والمعسكرات النازية .

وبذلك يصبح مفتاح أبواب جوائز نوبل مرسومًا عليه نجمة داوود.

رغم كل ما عرضناه.. تبقى جوائز نوبل تثير الدهشة والإعجاب، لاسيما ممن نالها من النساء.. وهذا ما نتعرف عليه في الصفحات القادمة، علاوة على معرفة .. من هو نوبل وجائزته ووصيته !!

❋ ❋ ❋

obeikandl.com

ويبقى الأهم !!

بعيدًا عن كل التجاوزات والمآخذ التي أخذها البعض على جائزة نوبل.. فإنها تبقى الجائزة الأكثر دهشة ولفتا للنظر وجذبًا للأضواء لمن تزين ميدالية الفوز رقبته.

فما أن ينال أحد جائزة نوبل تتحول حياته بين عشية وضحاها ويصير الأشهر على المستوى العالمي. ولأن الرجال أكثر من نالوا جوائز نوبل، فإن مجرد ذكر اسم (نسوى) فاز بها يصبح أمرًا جللاً يشد الانتباه والأضواء .

إن وراء كل (امرأة) نالت جائزة نوبل قصصًا وحكايات عديدة تصلح أن تكون مادة لكتب عدة .. لذا سبرنا أغوار (نساء نوبل) وما عانين منه في حياتهن، وسر الفوز بهذه الجوائز المدهشة.

obeikandl.com

ألفريد نوبل
ورث الانفجارات عن والده

- ميلاده كان نذير شؤم وخراب على أسرته.. ثم كان أغنى أغنياء العالم.
- تمنى أن يكون شاعرًا.. فأصبح أشهر كيميائي في التاريخ.
- بسبب تجاربه فقد شقيقه وأربعة من المهندسين.. فكان الحل في تحويل السائل إلى صلب!
- النيتروجلسرين المادة الخطرة قادته ليسود العالم.
- وصيته خلدته في سجلات عظماء التاريخ..
- في حياته ثلاث نساء.. واحدة منهن وهمية.

❋ ❋ ❋

ميراث كيميائي :

بداية.. من هو (ألفريد نوبل)؟.. كيف عاش؟. ماذا أنتج؟.. وما حكاية جائزته التي خصص لها أغلب ثروته؟.. وما دور المرأة اللغز في حياته؟..

لكي نتعرف على ألفريد نوبل عن قرب لابد وأن نتعرض لسيرة والده المكافح (عمانوئيل نوبل) وأسرته.. ومشاريعه التي جلبت له النجاح والأموال، وكذلك الفقر والإفلاس.

(عمانوئيل نوبل) مهندس شاب مختص في إنشاء الطرق والكباري، بجانب أنه كان مخترعًا ومبتكرًا في مجال تدمير الصخور والألغام البحرية.. هذا العمل وفر له تكوين ثروة ضخمة.

obeikandl.com

تزوج (عمانوئيل) من فتاة شابة، أنجب منها أربعة من الأبناء الذكور، هم: روبرت، ولودفيغ، وإميل، وألفريد.. واستمر المهندس الشاب في عمله حتى تضاعفت ثروته.

يوم ميلاد.. تعيس :

على عكس مسار أحداث عائلة (عمانوئيل) كان الطفل (ألفريد) مصدر تعاسة ونحس على الأسرة.. فقد أفلس الأب في نفس العام الذي ولد فيه (ألفريد) في ٢١ أكتوبر عام ١٨٣٣، كما التهمت النار مسكن العائلة.. وهو ما دفع بالأب إلى السفر وحده إلى فنلندا، بحثا عن فرصة أفضل للحياة، وعمل مثمر يعوض فيه ما فقده من ثروة، لكن محاولات الأب في فنلندا ذهبت أدراج الرياح.. فقرر الرحيل إلى عاصمة روسيا القيصرية (بطرسبرج).. وهناك وجد ضالته.. فأنشأ ورشة ميكانيكا.. ورويدًا رويدًا عقد (عمانوئيل) عدة صفقات مع الجيش الروسي، حيث نجح في اختراع الألغام البحرية المستخدمة في الحروب، وقد استخدمتها القوات الروسية في إقامة الألغام البحرية في مياه بحر البلطيق، وحول مدينة بطرسبرج.. وهو ما وفر الحماية للمدينة أثناء حرب (القرم) بين روسيا من جهة، وفرنسا وبريطانيا وتركيا من جهة أخرى.. وتقديرًا لمجهودات المهندس (عمانوئيل) وخدماته لروسيا حصل على وسام الإمبراطور من قيصر روسيا.

بعد التحسن الملحوظ في أحوال (عمانوئيل) المالية أرسل لعائلته عام ١٨٤٢ لتلحق به في بطرسبرج.

ألفريد.. شاعرًا :

بعدما وصلت الأسرة إلى بطرسبرج.. أراد الأب تعويض أولاده عن سنوات الفقر والمعاناة التي عاشوها.. فوفر لهم كل مقومات حياة الرفاهية، كما أتاح لهم مستوى رفيعًا من التعليم الخاص.. فتعلم الأبناء الأربعة علوم الطبيعة والكيمياء واللغات والآداب.. في هذه الأثناء وصل نبوغ (ألفريد) حداً مذهلاً،

أدهش معلميه لدرجة أنه أتقن خمس لغات، هي: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والسويدية.

وعلى عكس المتوقع انجذب (ألفريد) ابن الكيميائي إلى دراسة الآداب، وخاصة فنون الأدب الإنجليزي.. وراح ينظم الشعر في قدرة عجيبة فاقت أقرانه.. فأراد (ألفريد) التعمق في دراسة الآداب التي فضلها على الكيمياء والعلوم الطبيعية.. وظل يحلم باليوم الذي يصبح فيه شاعرًا عظيمًا!!

أعلن ألفريد ابن السبعة عشر عامًا رغبته وميوله الأدبية لأبيه الذي ثار في وجهه رافضًا هذه الأماني، فلم يكن الأب راضيًا عن اهتمام ابنه بالآداب.. وكان يريد إلحاقه بمشاريعه الكيميائية والهندسية.. فأرسله في مجموعة من السفريات إلى الخارج ليدرس العلوم وليبتعد عن ميوله الأدبية.. فرحل ألفريد إلى السويد وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

وبينما هو في فرنسا، حيث التحق بمعمل العالم الكيميائي (بيلوز) الذي كان مهتمًا أيضًا بالمتفجرات، تعمقت صلاته بالكيمياء وبالتحديد بمادة النيتروجلسرين.. وفي الولايات المتحدة الأمريكية ترسخت وجهة نظر ألفريد تأييدًا لمشاريع والده في مجال المفرقعات.

عودة.. وانفجار:

عاد (ألفريد) إلى والده حاملاً دراسته وأبحاثه حول مادة النيتروجلسرين شديدة الانفجار، في هذه الأثناء كان مؤشر والده المالي يتجه نحو الهبوط بعد أن انتهت الحرب الروسية.. فقرر الأب العودة إلى السويد، موطنه الأصلي، مصطحبًا معه ولديه (ألفريد) و(إميل).

بعدما استقر المقام بالأب والابنين أطلع (ألفريد) والده على أبحاثه.. فقرر الأب وبمساعدة ابنيه إنشاء أول مصنع لتصنيع سائل النيتروجلسرين.. فقام

بتصنيع نحو ١٤٠ كيلوجرامًا من هذه المادة.. لكن المصنع انفجر عام ١٨٦٤، وتسبب هذا الانفجار في مقتل شقيقه (إميل) وأربعة من المهندسين والعمال.

من سائل.. إلى صلب :

كان لحادث انفجار المصنع الأثر السيئ على (ألفريد)، خاصة وأنه فقد فيه شقيقه.. وظل لمدة عامين يبحث في طيات عقله وأبحاثه عن وسيلة يروض ويستأنس بها هذه المادة الفتاكة (النيتروجلسرين).. فهداه تفكيره إلى أن سبب انفجار النيتروجلسرين كونه سائلاً مما ينتج عن حركته الانفجار.. والحل هو تحويل هذا السائل إلى مادة صلبة.. وبالفعل نجحت تجاربه في اختراع (الديناميت).. وحصل على براءة اختراع عن ذلك عام ١٨٦٨.. فتهافتت على شرائه شركات البناء والمناجم، والجيوش أيضًا.. وانتشر استخدام الديناميت في جميع أنحاء العالم.. ومن ثم قام ألفريد بإنشاء العديد من المصانع والمعامل في عشرين دولة، وجنى من وراء ذلك الاختراع ثروة كبيرة قدرت بحوالي ١٥٠ مليون دولار.. وصار من أغنى أغنياء العالم.

صانع الموت :

لم يكن في حسابات (ألفريد نوبل) عند تصنيع واختراع الديناميت أن يستخدم في مجال الحروب.. بل كان هدفه، كما أعلنه هو نفسه، أن يستخدم في المجالات السلمية في المناجم وتعبيد الطرق.. لكن القوى العسكرية كان لها رأي آخر.. فأسرفت في استخدام الديناميت في الحروب حتى بات أداة قتل وتدمير.

لذا فقد هاجمت الصحف الأوربية صنيع ألفريد نوبل، وشنت عليه حملة صحفية شعواء، لدرجة أن البعض أطلق عليه لقب (صانع الموت)، لأنه صنع شهرته وكون ثروته من صناعة المفرقعات التي تستخدم في الحروب.

لكن (ألفريد نوبل) واجه هذه الحملات الشرسة بأن رسم لنفسه صورة مختلفة للسائد عنه.. فقد تعلل بأن الشر الكامن في النفس البشرية هو الذي أدى إلى استخدام الديناميت كوسيلة مدمرة من وسائل الحروب.. فقد كان يرى في الديناميت أملاً في رخاء وسعادة البشرية .

عاش وحيدًا :

عاش ألفريد نوبل في الحياة وحيدًا.. وتجرع كأس الوحدة.. لكنه لم يبال بها.. نعم كان يشعر نوبل بالوحدة وأنه ليس له رفيق أو رفيقة تشاركه حياته.. فعلى امتداد حياته التي استمرت ثلاثة وستين عامًا لم يتزوج، ولم يكن في حياته إلا سيدتان فقط، هما: أمه، والكونتيسة برتا فون ستنر.. لكن رغم هذه الوحدة فإن عمله كان كل حياته.. وقد قال ألفريد عن ذلك: (إن المكان الذي أشعر فيه بأنه بيتي هو المكان الذي أعمل فيه.. وأنا أعمل في كل مكان).

اتهام بالتجسس.. وتهديد بالسجن :

كان (ألفريد نوبل) محبًا للعلم ومشجعًا له، لاسيما العلم الذي يفيد البشرية.. وقد عاش فترة من الزمن في باريس التي كان يعشقها، لكنه اضطر إلى تركها مرغمًا، وذلك عندما سمح لإيطاليا بإنتاج معدات حربية من اختراعاته.. وقتها كانت العلاقات الفرنسية الإيطالية في غاية السوء.. فهاجمت السلطات الفرنسية نوبل وشنت عليه حملة عدائية، حتى وصل الأمر إلى اتهامه بالتجسس لصالح إيطاليا، وسحبت منه رخصة عمل تجارب الانفجار، وهدد بالسجن.. فانتقل إلى سان ريمو بإيطاليا، وأنشأ هناك معملاً.. وقد اخترع أنبوبة زجاجية بها فتحات دقيقة جدًا تم استعمالها في إنتاج الحرير الصناعي.

الـوصيـة :

ظل ألفريد نوبل مقيمًا في إيطاليا (بسان ريمو) وحيدًا حتى توفي فيها في العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٦ عن عمر يناهز الثالثة والستين عامًا.. رحل نوبل تاركًا وصيته التي كتبها لتكون خير خاتمة لمشواره مع الحياة والعلم.. فقد جاءت الوصية تجسيمًا لموقف نضالي عندما ارتفع صوت دعاة السلام، وإعلان شعار (تسقط الأسلحة).. وقتها شب جدل عنيف ذهب البعض فيه لإلقاء التبعة والمسئولية على كل عالم يساعد بأبحاثه على تطوير صناعة الأسلحة سواء بقصد أو بدون قصد.. عندئذ اقتحم نوبل ساحة الجدل والصراع، لينهيه لصالحه عندما خصص أغلب ثروته للعلماء الذين يفيدون البشرية بعلمهم.. فكان يرى أن حماية السلام لا تتم إلا بتوافر السلاح الرادع.

ليس كما هو معروف أن ألفريد نوبل وجَّه كل ثروته للجائزة التي تحمل اسمه.. بل تضمنت الوصية مبالغ لأقاربه وأصدقائه.. أما الجانب الأكبر من الثروة فقد أوصى باستثمارها في مشروعات ربحية ويتم من ريعها منح (خمس) جوائز سنوية لأكثر من أفادوا البشرية في خمسة مجالات حددها في وصيته، وهي في الكيمياء، والفيزياء، والطب والفسيولوجيا، والأدب، والسلام العالمي.

ويبدو أن ألفريد نوبل كان يشعر بدنو أجله، وذلك لاعتلال صحته.. لذا وثق وصيته في النادي السويدي النرويجي في ٢٧ نوفمبر عام ١٨٩٥، أي قبل وفاته بنحو عام، وفتحت الوصية بعد وفاته سنة ١٨٩٦، وجاءت الوصية في صحيفة واحدة، ذكر في بدايتها ما يعطي للأقارب والأشخاص الذين كانوا قريبين منه بحكم عملهم معه.. ثم ذكر أن كل ما يملكه بعد ذلك يكون كمؤسسة لتمويل جائزة سنوية.

جـوائــز:

لم يـترك ألفريـد نوبـل في وصـيته أي مجـال للتأويـل أو التحريـف، فكانـت جامعة مانعة لكل ما أراد.. فقد غيَّر في الوصية عدة مرات، ووزن كل كلمة فيها بميزان الذهب حتـى لا يكـون هنـاك مجال لعـدة تفـسيرات.. لدرجـة أنـه حـدد الجهات التي من حقها منـح الجوائز.

فقد أوصى بأن تقـوم الأكاديميـة الـسويدية للعلـوم باختيـار الفـائز في مجـال الكيمياء والفيزياء، وأن يقوم معهد كارولينسكا باسـتوكهولم باختيـار الفـائز في مجال الطب والفسيولوجيا، ويقوم البرلمان النـرويجي بانتخـاب خمـسة أشـخاص ليختـاروا الفـائز بجـائزة الـسلام العـالمي.. وأبـدى نوبـل في وصـيته رغبتـه في أن يكون الاختيار للجوائز نزيهًا، وأن تمنح لمن هو أكثر استحقاقًا بها بغـض النظـر عن جنسية المرشح.

وحول نقطة جنسية الفائز بالجائزة دار جدل وخلاف سياسي واجتماعي.. فقد أرادت الحكومة السويدية الضغط على لجنة نوبل لتغيير الوصية وقصرها على السويديين فقط، لكن اللجنة قررت أن تنفذ الوصية كما هي دون تغيير.

أول مــرة :

أقـيم أول احتفـال لتقـديم جـائزة نوبـل في المجـالات الخمـس عـام ١٩٠١ في الأكاديمية الملكية الموسيقية في مدينة استوكهولم الـسويدية.. وابتـداء مـن عـام ١٩٠٢ قام ملك السويد بنفسه بتسليم الجائزة للأشخاص الحائزين عليها، ويذكر أن الملك (أوسكار الثاني) تـردد في بداية الأمر في تسليم جـائزة لغـير الـسويديين، لكنه تقبل الأمر بعد ذلك عندما أدرك حجـم الدعايـة والـشهرة الـتي سـتجنيها السويد من جراء جائزة نوبل.

مراسم الجائزة.. ملخص حياة :

المدقق لتفاصيل مراسم إعلان الجائزة وكذلك مراسم التسليم، والأماكن، يدرك جيدًا أن هذه المراسم ما هي إلا ملخص لحياة ألفريد نوبل.

تبدأ المراسم بإعلان أسماء الفائزين بالجائزة ويكون ذلك في شهر أكتوبر من العام نفسه.. وهو نفس الشهر الذي ولد فيه ألفريد نوبل عام ١٨٣٣.

أما حفل توزيع الجوائز فيكون في العاشر من شهر ديسمبر من كل عام.. وهو نفس يوم وفاة ألفريد نوبل.. ويكون مكان تسليم الجوائز في صالة الاحتفالات الموسيقية في استوكهولم، الساعة الرابعة بعد الظهر..

والصالة تتسع لألف وثلاثمائة ضيف.. والضيوف هم أولاً عائلات الذين حصلوا على الجائزة، والعائلة المالكة، والسلك السياسي، وممثلو الحكومة السويدية، وأعضاء البرلمان.. وبعد تسلم ميدالية نوبل ينصرف الجميع ليستعدوا لحضور حفل العشاء الذي يكون في مبنى الحكومة المحلية لمدينة استوكهولم ذي الطابع المميز والمنارة العالية..

تزين صالة الموسيقى ومبنى مركز الحكومة المحلية بزهور أحضرت خصيصًا بالطائرة من مدينة (سان ريمو) بإيطاليا، وهي البلدة التي قضى فيها ألفريد نوبل السنوات الأخيرة من حياته.

قيمة غالية :

أما عن قيمة جائزة نوبل.. فليس المهم فيها القيمة المادية، بل الأهم القيمة المعنوية التي تجعل صاحبها ملء السمع والبصر.. ورغم ذلك فالقيمة المادية للجائزة تعد ثروة ضخمة.

فالجائزة عبارة عن مبلغ مالي كبير.. في السنوات الأولى من الجائزة كانت ثلاثين ألف دولار، ثم وصلت إلى ٧٠٠ ألف دولار في أوائل التسعينيات من القرن

الماضي، في حين بلغت قيمة الجائزة حاليًا مليون وثلاثمائة ألف دولار، ويقوم الفائز باستلام قيمة الجائزة من خلال شيك، ويُمنح مع الشيك ميدالية ذهبية مرسوم عليها صورة ألفريد نوبل، وشهادة تقدير.

هذا وقد أضيفت جائزة سادسة في الاقتصاد منذ عام ١٩٦٩، يقوم البنك السويدي بمنحها، ويسدد قيمتها بنفسه بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على تأسيس البنك.

المرأة.. اللغز:

عبر ثلاثة وستين عامًا هي عمر ألفريد نوبل، لم يكن للمرأة صفحات في حياته.. اللهم إلا ثلاث سيدات، اثنتان منهن على سبيل اليقين والحقيقة، والمرأة الثالثة ربما تكون من نسيج الخيال، وقد تكون حقيقة، فلا يوجد ما يرجح أي من الأمرين.

السيدتان الحقيقتان في حياته ولهما أثر عظيم فيها، هما: (أمه)، والكونتيسة (برتا فون ستنر) التي عملت كسكرتيرة له.

علاقة ألفريد نوبل بأمه كانت علاقة حب عظيمة.. ابن بار بأمه حنون، يحوطها بالاحترام والتقدير.. أما علاقته بالكونتيسة (برتا فون ستنر) فبدأت وعمره ثلاثة وأربعين عامًا.. عندما اعتلت صحته، لذلك نشر إعلانًا في الجرائد يقول فيه: (جنتلمان، غني، مثقف، متقدم في العمر يبحث عن سيدة ناضجة وتجيد عدة لغات لتعمل سكرتيرة ورئيسة للبيت).. وكانت هذه الصفات متوافرة في الكونتيسة النمساوية (برتا فون) وبالفعل عملت (برتا) لديه.. وفجأة بعد فترة قصيرة تقرر الكونتيسة العودة لبلادها لتتزوج من أحد البارونات في النمسا..

وربما يكون ألفريد قد نما داخله بعض المشاعر العاطفية (لبرتا).. لذا ظل يراسلها طوال حياته.. وكانت برتا أول سيدة تحصل على جائزة نوبل في السلام.

أما الشخصية الثالثة في حياة نوبل التي من الممكن أن تكون لغزًا حقيقيًا في حياته.. فلم يعرف اسمها بعد.. وراحت القصص والأقاويل تنسج.. وأشهر هذه الحكايات شهادة الدكتور عبد السلام المسدي أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية أن ألفريد نوبل لم يخص علم الرياضيات بجائزة، رغم أنها من أنبل العلوم من حيث أنها تمثل أقصى درجات التجريد الذهني.. وراجت قصص وحكايات لتفسير هذا الحيف، وقيل عبر التخيل الأسطوري إن ألفريد نوبل كان يبغض علم الرياضيات لأنه (تعلق) بامرأة فوجدها قد تعلقت بعالم من علماء الرياضيات، لذلك لم يُكوّن أسرة في حياته قط.

المرأة عند نوبل سواء في حياته أو بعد مماته تعد بحق لغزًا مثيرًا.. فكما كانت خافتة في حياته.. فقد خفت ضوؤها ووجودها في جوائزه التي لم ينلها سوى ثلاثين امرأة فقط على مدار أكثر من مائة عام في ست مجالات.. وتكون الفرنسية مدام كوري هي الأولى عام ١٩٠٩، التي سنتتبع حكايتها مع نوبل والحياة في صفحات قادمة .